ISSN: 2253-0347
مجلــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 03 / السنة: 2021 / ص ص: 773-792

# صورة الطفولة اللاجئة في السينما العربية
## دراسة نقدية لفيلم "كفرناحوم" للمخرجة "نادين لبكي"

# Refugee childhood image in Arab cinema
## Critical Study of "Capernaum" by Nadine Labaki

تاريخ الإرسال: 29 /04/ 2021 تاريخ القبول: 08/02 / 2021 تاريخ النشر: 2021/09/18

منير طبي

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، Email : mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

**الملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على صورة الطفولة اللاجئة في السينما العربية من حيث الشكل والمحتوى والأسلوب والشخصيات، حيث تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات النقدية التي تعتمد على المنهج النقدي، وتحدد مجتمع البحث في السينما العربية، وتم اختيار عينة قصدية متمثلة في الفيلم العربي "كفرناحوم" للمخرجة "نادين لبكي"، لمدى شهرة هذا الفيلم ونجاحه في الحصول على جائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان السينمائي 2018، وترشيحه لجائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي لعام 2018 .

وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عدة أهمها: سعي الفيلم إلى تبيان آثار اللجوء والنزوح نتيجة الاضطرابات والنزاعات والحروب خاصة منهم فئة الأطفال، حيث عبر الفيلم بشكل غير مباشر عن الآثار السلبية لتلك الأحداث، وأهمية معالجة الأسباب للنظر في النتائج وإيجاد الحلول، بأسلوب سينمائي شبه وثائقي، من خلال الشخصيات والأماكن وطريقة التصوير...، والتنبيه إلى حال وواقع هذه الفئة من اللاجئين (الطفولة اللاجئة).

**الكلمات المفتاحية:** صورة؛ الطفولة اللاجئة؛ السينما العربية؛ اللاجئين.

**المؤلف المرسل:** منير طبي، Email : mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

**Abstract:**

This study aims to identify the image of refugee childhood in Arab cinema in terms of form, content, style and characters, as this study belongs to critical studies that rely on the critical approach, and defines the research community in Arab cinema, and an intentional sample of Arab film was chosen "Capernaum" by director "Nadine Labaki", for the popularity of this film and its success in obtaining the jury award at the 2018 Cannes Film Festival, and its nomination for the Academy Award for Best Foreign Film for the year 2018.

And this study came out with several results, the most important of which are: The film sought to show the effects of asylum and displacement as a result Disturbances, conflicts and wars, especially children, as the film indirectly expressed the negative effects of these events, and the importance of addressing the causes to look at the results and find solutions, in a cinematic, semi-documentary style, through characters, places and the way of filming ..., and alerting to the state and reality of this group From refugees (refugee childhood).

**Keywords:** Image; Refugee Childhood; Arab Cinema; Refugees

**مقدمة:**

للسينما جملة من الوظائف على مستوى الأفراد والمجتمعات، فهي تعمل على تكوين المواقف والآراء والسلوكيات نحو مختلف القضايا والموضوعات داخل المجتمعات، فهي (مع باقي وسائل الإعلام) أحد أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تساهم في تنشئة الفرد تنشئة سليمة سوية، ليصبح فردا صالحا سويا يفيد نفسه

ويرتقي بمجتمعه نحو الأفضل، فالسينما بخصائصها الاتصالية؛ والمتمثلة في الصوت والصورة والإيحاء والتخيل والتقمص، تجعل منها فنا ووسيلة يمكن استغلال خصائصها في تنوير الناس بأهم القضايا الإنسانية في الوقت الحاضر (قضية اللاجئين)، والتي أصبحت عنوان الكثير من الحروب والنزاعات المسلحة ونتيجة لها كذلك، ويأتي فيلم "كفرناحوم" كنموذج من النماذج السينمائية التي يمكن أن تساهم بها السينما كفن وكوسيلة في التنبيه إلى قضية اللاجئين، فهذا الفيلم حاول التطرق إلى هذه القضية وخاصة منهم الأطفال، من خلال عرض واقع هؤلاء اللاجئين في بلدان اللجوء، وتصوير مشاكلهم ومعاناتهم ومختلف ظروفهم المعيشية، وتأتي هذه الدراسة لتتعرف على كيفية ظهور صورة هؤلاء في السينما العربية، من خلال الفيلم عينة الدراسة.

**2. إشكالية الدراسة**

لعل التصوير السينمائي لقضية اللاجئين في السينما العالمية والسينما العربية على وجه الخصوص قد أسال الكثير من الحبر، فالسينما تؤثر بشكل قوي في فهم وإدراك الجمهور للمفاهيم والسلوكيات والمواقف والاتجاهات حول تلك القضية، فهو (أي الجمهور) يتلقى ويبني فهمه وإدراكه على أساس ما تسوقه السينما، فهذه الأخيرة من خلال إنتاجاتها المختلفة (أفلام قصيرة، أفلام طويلة...) تصنع صورة لقضية اللاجئين تساهم في التنبيه لوضعية هؤلاء في بلدان اللجوء، وتؤكد بشكل غير مباشر على الآثار السلبية للحروب والنزاعات المسلحة، وبين التناول السينمائي الإيجابي أو السلبي لقضية اللاجئين، حاول الباحث دراسة صورة إحدى القضايا الإنسانية المستجدة في السينما العربية، وهي قضية اللاجئين وخصوصا منهم فئة الأطفال، من خلال أشهر أفلام السينما العربية والتي فازت ورشحت لعدة جوائز سينمائية عالمية (فيلم كفرناحوم)، ومن هنا جاءت مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي: كيف ظهرت الطفولة اللاجئة في السينما العربية (فيلم كفرناحوم) شكلا ومضمونا؟

**3. تساؤلات الدراسة**

تقدم هذه الدراسة عددا من التساؤلات الفرعية والتي ناتجة عن التساؤل الرئيس، والتي تتمثل في التالي:

- كيف قدم الفيلم عينة الدراسة واقع وحال الطفولة اللاجئة؟

- كيف ظهر الشكل العام للطفولة اللاجئة في الفيلم عينة التحليل؟

- هل وضح وأبرز الفيلم عينة الدراسة قضية اللاجئين بشكل عام والطفولة اللاجئة بشكل خاص؟

**4. أهداف الدراسة**

تتلخص أهداف الدراسة فيم يلي:

- التعرف على واقع وحال الطفولة اللاجئة التي قدمتها السينما العربية من خلال الفيلم عينة الدراسة.

- البحث في الشكل العام للطفولة اللاجئة في السينما العربية من خلال الفيلم عينة الدراسة.

- الكشف عن إمكانية توضيح وإبراز الفيلم عينة الدراسة لقضية اللاجئين بشكل عام والطفولة اللاجئة بشكل خاص.

**5.أهمية الدراسة**

تنطلق أهمية هذه الدراسة من أهمية وسائل الإعلام في المجتمع، فوسائل الإعلام المختلفة وخاصة منها المرئية، وبالتحديد الأفلام السينمائية كثيرا ما تسوق عدة صور لبعض الموضوعات والقضايا الإنسانية (قضية اللاجئين)، والتي كثيرا تؤثر على توقعات الجمهور نحو تلك القضية، وكيفية التعامل معها والنظر إليها، فالكثير من الدراسات العربية التي تناولت بعض القضايا والموضوعات الإنسانية أظهرت صورة إيجابية أحيانا

وسلبية أحيان أخرى لواقع تلك القضايا والموضوعات، ومن بينها موضوع أو قضية اللاجئين العرب داخل الوطن العربي أو خارجه وخاصة منهم فئة الأطفال، وجاء هذا البحث لدراسة صورة هذا الموضوع في السينما العربية، وهل هذا التصوير ساهم في توضيح حال وواقع الطفولة اللاجئة بشكل يوضح معاناتهم ومشاكلهم المختلفة، أم أنه تناول تلك الصورة بشكل سطحي عابر للبحث عن تحقيق بعض الأهداف التجارية لا غير، وتوقعات تأثير هذه الصورة أو تلك في المجتمع العربي والدولي، خاصة أن الفيلم كان له انتشارا عربيا ودوليا على حد السواء.

**6. مفاهيم الدراسة**

**1.6 الطفولة اللاجئة:** إجرائيا يمكن تعريف الطفولة اللاجئة أو الطفل اللاجئ بأنه ذلك الطفل التي تحتم عليه الظروف المحيطة (حروب، نزاعات...)، الانتقال والنزوح من مكان إلى مكان في نفس الدولة، أو من دولة إلى أخرى، لصعوبة العيش نتيجة تلك الظروف المحيطة، ويضطر للتكيف والعيش مع الظروف الجديدة التي يفرضه ذلك المكان المضيف أو في تلك الدولة المضيفة.

**2.6 السينما:** هي الفن السابع من حيث تاريخ ظهورها بعد الفنون الستة الكبرى (العمارة والنحت والرسم والأدب والموسيقى والأداء)، ولكنها قد تكون الفن الأول من حيث استحواذها على اهتمام العالم، فمنذ ظهور الصورة المتحركة في أواخر القرن التاسع عشر، وقبل أن يصبح الفيلم ناطقا ثم ملونا، لم يتطلب هذا الاختراع الجديد سوى سنوات أو حتى أشهر معدودة لينتشر انطلاقا من مهده في أوروبا عبر مدن العالم، وصولا الغرب الأمريكي وإلى بومباي وبكين شرقا، مرورا بالقاهرة وغيرها، وطوال القرن العشرين كانت دور السينما من معالم المدن ومن أقوى نقاط الجذب فيها، نافست بنجاح المتاحف والمكتبات العامة عند مريدي الأنشطة الثقافية، فبات التوجه إلى صالة السينما فعلا ترفيهيا وثقافيا، يُدرج ضمن البرامج الأسبوعية عند الملايين، حتى ليقال عن وجه حق إن السينما عرّفت الناس في أقاصي العالم على ما في أقاصيه

الأخرى (العريس، 2019)، وبذلك حققت السينما شهرة وانتشارا كبيرين مقارنة بباقي الفنون الأخرى، مثل العمارة والنحت والرسم والأدب والموسيقى والأداء.

**7. العناصر الإجرائية للدراسة**

**1.7 نوع الدراسة والمنهج المستخدم**

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تعتمد على المنهج النقدي، وفي الدراسات الإعلامية تستخدم الدراسات النقدية لأغراض وصف وتحليل وتفسير وتقييم والحكم على المادة الإعلامية (السينمائية)، وفي دراستنا هذه حاولنا نقد تناول موضوع اللاجئين الأطفال من خلال فيلم "كفرناحوم" للمخرجة "نادين لبكي" من حيث الشكل والمحتوى والأسلوب والشخصيات، ووصف وتحليل وتفسير العلاقة بين الشكل والمحتوى وعناصر كل منهما في تصوير الطفولة اللاجئة في السينما العربية، ثم التقييم والحكم على الفيلم بشكل عام.

**2.7 مجتمع وعينة الدراسة**

يعرف مجتمع البحث على أنه مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق النتائج، ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر المجتمع المستهدف، الذي يهدف الباحث دراسته ويتم تعميم نتائج الدراسة على مفرداته (عبد الحميد، 2004، 130)، وفي هذه الدراسة يتحدد مجتمع البحث في السينما العربية. وتعرف العينة على أنها عبارة عن عدد محدود من المفردات التي سوف يتعامل الباحث معها منهجيا، ويسجل من خلال هذا التعامل البيانات الأولية المطلوبة، ويشترط في هذا العدد أن يكون ممثلا لمجتمع البحث في الخصائص والسمات التي يوصف من خلالها هذا المجتمع (الحميد، 2004، 133)، وفي دراستنا هذه تم اختيار عينة قصدية متمثلة في فيلم "كفرناحوم"، لمدى انتشار هذا الفيلم وجماهيريته عربيا ودوليا كما ذكرنا سابقا.

**3.7 أدوات جمع البيانات**

تم اختيار أداة الملاحظة في هذه الدراسة لأنها تناسب أهداف الدراسة النقدية، والتي تسعى لمعرفة صورة اللاجئين الأطفال في السينما العربية من خلال فيلم "كفرناحوم"، وتعرف الملاحظة على أنها المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك ما أو ظاهرة معينة في ظل ظروف وعوامل بيئية معينة، بغرض الحصول على معلومات دقيقة لتشخيص هذا السلوك أو هذه الظاهرة (الموسوعة الجزائرية، 2019)، وتتحدد الخطوات الضرورية لإجراء الملاحظة في هذه الدراسة في تحديد الهدف الذي يسعى الباحث في الحصول عليه، ثم تحديد المحتوى الإعلامي بالملاحظة مع الأخذ في الاعتبار ضرورة الاختيار الجيد والملائم لهذا المحتوى، ثم تحديد الفترة الزمنية اللازمة للملاحظة بحيث يتناسب مع الوقت المخصص للباحث، يليها ترتيب الظروف الملائمة للملاحظة، ثم تحديد النشاطات المعنية بالملاحظة (ما يتطلب معرفته من الملاحظة)، وأخيرا جمع المعلومات بشكل منظم ثم تسجيلها.(الموسوعة الجزائرية، 2019)

**4.7. مجالات الدراسة**

**1.4.7 المجال الزمني:** تم إجراء هذه الدراسة خلال شهر ديسمبر 2020.

**2.4.7 المجال التوثيقي (مادة النقد):** تم إجراء هذه الدراسة على الفيلم العربي "كفرناحوم" للمخرجة "نادين لبكي".

**3.4.7 قصة الفيلم:** هو فيلم دراما لبناني من إخراج "نادين لبكي" وبطولة اللاجئ السوري "زين الرافعي" بدور "زين الحاج"، الفتى البالغ من العمر 12 عاما والذي يعيش في أحياء بيروت الفقيرة، يروي الفيلم القصة بأسلوب الاسترجاع الفني مع التركيز على حياة "زين"، بما في ذلك لقاءه بالمهاجرة الإفريقية "رحيل" وابنها الرضيع "يونس"، يقرر "زين" التمرد على نمط الحياة الذي يخضع له، حيث يقوم برفع دعوى قضائية ضد والديه لإهمالهم له، عُرض الفيلم لأول مرة في مهرجان "كان" السينمائي عام 2018، حيث تم اختياره للتنافس على السعفة الذهبية، وفاز بجائزة لجنة التحكيم، ولاقى الفيلم تصفيقا حارا من الحضور لمدة 15 دقيقة، بعد عرضه الأول في مدينة "كان" في

17 ماي 2018، اشترت "سوني بيكتشرز كلاسيك" حقوق توزيع الفيلم في أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية، كما لاقى الفيلم إشادة من النقاد، مع ثناء خاص على إخراج "نادين لبكي" وأداء "زين الرافعي" وعلى "الواقعية الشبيهة بالأفلام الوثائقية"، اعتبر الناقدان السينمائيان في صحيفة "نيويورك تايمز"، "مانوهلا دارجيس" و"أنتوني سكوت" الفيلم كواحد من أعظم الأفلام في 2018، كما رُشح الفيلم لجائزة "الأوسكار" لأفضل فيلم بلغة أجنبية في حفل توزيع جوائز الأوسكار الحادي والتسعون لعام 2018، بالإضافة إلى جوائز أخرى. (الموسوعة الحرة، بلا تاريخ)

**9. نقد ومناقشة الفيلم**

**1.9 نقد المضمون:**

عرض الفيلم مجموعة من الحقائق والمعلومات الصحيحة السليمة بدقة وموضوعية، ووضح العديد من القضايا والمواضيع الاجتماعية والاقتصادية من خلال طرحه لموضوعات المخدرات، الاتجار بالبشر، اللاجئين، الفقر، زواج القاصرات، التمييز الاجتماعي، الجهل، التخلف، عمالة الأطفال، التسول وغيرها من الموضوعات، والتي جعلت هذا الفيلم مرشح لكثير من الجوائز السينمائية العربية والعالمية والفائز ببعض منها، كما التزم صناع الفيلم من خلال السيناريو والحوار بالخطوط الفكرية العريضة للمجتمع العربي عموما، حيث لم يقترب من المساس بحرمة الدين الإسلامي أو المسيحي وقدسية ثوابتهما وأصولهما، التي كثيرا ما تعتقد بها الشعوب العربية الإسلامية والمسيحية عموما.

اختار الفيلم وصناعه معالجة موضوع أساسي يعتبر من الموضوعات المهمشة في المجتمعات العربية وهو موضوع الطفولة اللاجئة في المنطقة العربية (لاجئين سوريين في لبنان)، وحاول أن يعالجه معالجة خاصة بناء على الأسس الفكرية للمجتمع العربي وأخلاقياته، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور بعض مظاهر سلبية في طرح الفيلم مثل الإسفاف واللغة البذيئة وقلة الاحترام وعقوق الوالدين والحط من الإنسانية

والاستغلال البشري، والإساءة بشكل عام لصورة اللاجئين وخاصة الأطفال منهم في المجتمع العربي، الذين أصبحوا ينعتون بالمتسولين والفقراء والهاربين من بلدانهم، ويتعامل معهم على ذلك الأساس، إلى جانب المبالغة في ردود فعل الناس نحو الأطفال اللاجئين في صورة "زين" و"ميسون" مثلا، حيث تم التعامل معهما بشكل واضح من طرف الناس بإهانة وبهر في كثير من الأحيان وحنان ورفق في أحايين قليلة.

ما يعاب على الفيلم عدم المحافظة إلى حد بعيد على الأخلاق الفاضلة والمُثل العليا، وظهر ذلك في عدة مشاهد أهمها مشهد المحكمة ومواجهة "زين" لوالديه، ورفع دعوى قضائية ضدهما، وسبب الدعوى "لأنهم خلفوني" على حد قول "زين"، وهذا يقودنا إلى جدل الفلسفة الوجودية التي يرتكز على سببية الوجود الإنساني، وأسقط ذلك رمزيا في الفيلم من خلال عدم وجود أوراق ثبوتية لـ"زين" وعائلته، وكذلك الأمر لعاملة النظافة "رحيل" وابنها، وإضافة إلى مشهد المحكمة كان هناك مشهد بلوغ الفتاة "سحر" أخت "زين" وظهور أعراض العادة الشهرية، والذي كان فيه الكثير من الانحطاط الخلقي شكلا ومضمونا، كذلك أظهر الفيلم البعض من خدش للحياء الجمعي والانحلال القيمي الذي يميز واقع وحال اللاجئين لأسباب مختلفة، حيث حاول الفيلم من خلال البطل "زين" توجيه المشاهدين إلى حقيقة هذا الواقع، وأهم المشكلات والعراقيل التي تواجه اللاجئين بمختلف فئاتهم وأعمارهم.

قدم الفيلم مشهدية كبيرة وقوية وعميقة ومؤثرة حزينة جدا، في كثير من الأحيان في مشاهده ولقطاته وحتى حركات كاميراته، مثل مشهد فرض الزواج القسري على "سحر" ورفض "زين" لهذا الزواج، بالوقوف ضد والديه ومحاولة اللحاق بـ"سحر" وهي متجهة لزوجها والدموع في عينيهما، مشهد حمل الكثير من التعبيرية والإيحائية والتقمصية، ضف إلى ذلك مشاهد أخرى تعمل نفس القوة والعمق والحزن، وهو مشهد تفريغ "رحيل" الحليب من ثديها وهي باكية عنوة أثناء توقيفها من طرف الأمن، خوفا من معرفة الأمن أنها أم وبالتالي حرمانها من ولدها وفق القوانين المعمول بها في لبنان، وكذلك مشهد رد فعل "زين" عند سماعه بخبر وفاة أخته "سحر" في المستشفى

نتيجة مضاعفات في حملها، ولومه لوالديه على هذه الوفاة بشكل كبير، حيث كانا هما من فرضا الزواج عليها من شخص أكبر منها سنا.

حمل الفيلم كذلك بعض من المشاهد النقيضة تعبيريا ونفسيا، والتي قدمت شكل آخر من واقع الإنسانية في هذا العالم، الذي يتميز في كثير من أحواله بالمواقف المتناقضة والمختلطة، فمشهد لقاء "رحيل" بابنها "يونس" في آخر الفيلم، حمل الكثير من المشاعر الفرحة الحزينة في نفس الوقت، فرحها بلقاء ابنها بعد فترة ليست بالقصيرة وحزنها لإمكانية فقدانه مرة أخرى، كذلك مشهد حزن "رحيل" في زنزانتها على فقدان ابنها مع فرح زميلاتها السجينات ورقصن على أنغام الموسيقى، دون أن ننسى مشهد آخر حمل اليأس والأمل في آن واحد، وهو مشهد يأس "رحيل" من الخروج من السجن والاجتماع بابنها "يونس"، وأملها في ذلك عند رؤية "زين" ينادى عليه من طرف السجان.

رغم المشهدية الحزينة اليائسة القوية والعميقة في الفيلم، إلا أنه حمل بعض مشاهد الأمل وغد أفضل، مثل مشهد احتفال "رحيل" و"زين" بعيد ميلاد "يونس" بكعكة مسروقة من مكان عمل "رحيل"، ومشهد محاولة تعلم اللهجة السورية من طرف "زين" (بحكم ترعرعه في بيروت كلاجئ فهو يتقن اللهجة اللبنانية مقارنة باللهجة السورية) أمام المرآة، بهدف الهجرة نحو السويد أو تركيا حسب وعد أحد الأشخاص له بتسهيل عملية هجرته، ومن المشاهد التي حملت الكثير من الأمل والفرحة لدى المتابع للفيلم، مشهد اتصال "زين" في سجنه بأحد برامج التلفزيون متذمرا، ولكن ناصحا للناس بعدم الإنجاب ما داموا لا يستطيعون تربية من أنجبوا، لكن ورغم كل هذه المشهدية حاولت مخرجة الفيلم صدمة الجمهور بمشهد المحكمة في بداية الفيلم (بداية صادمة)، وزرع بعض الأمل والغد الأفضل في نهاية الفيلم، بمشهد ابتسامة "زين" عند طلب المصور لزين بالابتسامة قائلا: "يا زين ابتسم، هاي الصورة للتذكرة مش لورقة نعوة" (نهاية متفائلة).

ما يعاب على الفيلم في كثير من الأحيان ضعف علاقة التوازي بين مشهدين أو أكثر، أي الخروج من مشهد والدخول لآخر يحدثان فى نفس الوقت، أو في وقت مختلف، أو يتحدثان في نفس السياق، حيث كان القطع واضحا بين المشاهد والانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، خاصة في مشاهد الاسترجاع الفني "Flash Back"، إلا أن الفيلم نجح إلى حد بعيد في الانتقال من مشهد لمشهد أكثر قوة وعمقا، خاصة فيم تعلق بمشاهد المتناقضات مثل مشاهد الفرح الحزن والأمل واليأس، فيم لم يكن هناك اكتمال للقصة بنهاية الفيلم (نهاية مفتوحة من خلال ابتسامة "زين")، حيث لم تحل عقدة الفيلم ولم نعرف طبيعة الحكم الذي سيتخذه القاضي في حق "زين" و"رحيل"، كذلك لم ينجح الفيلم في تصوير النهاية السيئة لكل مظاهر إدمان المخدرات والاتجار بالبشر والتسول وغيرها من المظاهر السلبية.

لم يحترم الفيلم المشاعر الخاصة باللاجئين السوريين في لبنان، فأظهرهم أناس فقراء ومساكين وجهلة، ومنحطين ومستغلين (بفتح الغين) وغافلين ومهمشين، فيم استخدم الفيلم عدة رموز واستعارات واسقاطات، كان الغرض منها توضيح حال اللاجئين الهاربين من النزاعات والحروب، مثل مشهد "الكعكة" المسروقة في عيد ميلاد "يونس" ابن "رحيل" رفقة "زين" وفرحتهم بإطفاء الشمعة، ومشهد إزالة "زين" للباس أحد المجسمات النسائية في مدينة الملاهي، وإبقاء صدرها مكشوف أمام أعين الناس، إلى جانب عدة مشاهد أخرى كانت فيها الرموز والاستعارات والاسقاطات خادمة للقصة وأسلوب سردها، والهدف الذي تسعى من أجله.

**2.9 نقد الشكل:**

اختيار عنوان الفيلم كان فيه نوع من الرمزية والاسقاط، فعنوان "كفرناحوم" هو اسم لقرية فلسطينية (شمال فلسطين) تحت الاحتلال الإسرائيلي، تذكر كثير من المصادر المسيحية على وجه الخصوص أنها كانت موطن للمسيح، وبها الكثير من الآثار الدينية المسيحية والتاريخية كذلك، وقد يكون الاسقاط في هذا الأمر متعلق بالأساس

بالمعاناة التي يتكبدها اللاجئون في مخيمات اللجوء، كما عانى سابقا المسيح عيسى عليه السلام قبل وفاته (حسب الرواية المسيحية).

يبدو بشكل واضح طبيعة الإنتاج الضعيفة للفيلم من خلال الميزانية الضعيفة، وهذا يتضح بشكل قوي في طبيعة أماكن التصوير، التي كانت معظمها مخيمات اللجوء في لبنان والأحياء الفقيرة فيها، إما في شقق مهترئة أو أماكن عامة (شوارع، محلات، ملاهي...)، أو حتى غرفة "رحيل" المستأجرة في أحد أحياء الصفيح، والتي صورت فيها الكثير من المشاهد المتعلقة بمدى اهتمام ورعاية "زين" لـ"يونس" ابن "رحيل"، بعد اعتقالها ودخولها السجن لفترة زمنية غير قصيرة.

لم يكن هناك تأثيرات مرئية كبيرة في الفيلم إن لم نقل إنها كانت معدومة، كما لم تستخدم بشكل عام الأساليب والتقنيات التكنولوجية المتقدمة، والمستخدمة في عناصر الفيلم عن طريق الكمبيوتر، وقد يرجع هذا لطبيعة سرد الفيلم وطريقة تصويره التي قاربت طريقة تصوير الأفلام الوثائقية، والتي تقل فيها بشكل عام جماليات الصورة في مقابل واقعيتها، أما الملابس والديكور المستخدمان في الفيلم فقد عبرا بشكل كبير عن مختلف أحداث الفيلم ومشاهده، فبالنسبة للملابس ظهرت الشخصيات الرئيسية في الفيلم بملابس رثة قديمة تعبر عن حال اللاجئين في المخيمات وخاصة منهم الأطفال، ونفس الأمر بالنسبة للديكورات التي كانت تعبر عن واقع مشاهد الفيلم، سواء تعلق الأمر بشقق وأحياء المخيمات أو أحياء لبنان الفقيرة، أو الأماكن العامة من شوارع وأحياء ومحلات ومدينة ملاهي وغيرها، دون أن ننسى عامل الألوان الذي عزز بشكل كبير جدا رسالة الفيلم، حيث ظهرت الألوان باهتة بهوت مصير هؤلاء اللاجئين.

حمل الفيلم عدة رسائل بصرية مشفرة من خلال عدة مشاهد ساهمت في التناول العميق لقضية اللاجئين، فبداية من ملصق الفيلم الذي يعرض مدى سوء الحالة الاجتماعية لأطفال اللجوء سواء كانوا عربا أم أفارقة (الملابس والمكان)، ورسالة بصرية مشفرة تؤكد على أن الحروب أو النزاعات المسلحة لا تفرق بين عرق أو جنس،

إلى جانب زاوية النظر لكلا الطفلين التي تبعث برسالة بصرية مشفرة عن مدى الألم والأمل الذي يعتري كلاهما، وبالإضافة إلى ملصق الفيلم نجد عدة مشاهد تقدم عدة رسائل بصرية مشفرة، منها مشهد المحكمة والذي يؤكد على المشهدية العنفية البصرية واللغوية معا، من خلال وضعية وقوف "زين" في مواجهة والديه، واللغة البذيئة التي كان يتكلم بها أمام الحضور، في رسالة واضحة للمتلقي عن مدى خطورة اللجوء على التنشئة الاجتماعية للطفل، وأثر ذلك على التعامل مع أفراد أسرته ومع الآخرين، دون أن ننسى عدة مشاهد أخرى حاولت المخرجة "نادين لبكي" أن تقدم عدة رسائل بصرية مشفرة (حالة اللباس، وضعية المخيمات، حالة الأثاث، ألوان الفيلم...)، بهدف التنبيه لوضعية اللاجئين وخاصة منهم الأطفال في بلدان اللجوء.

**ملصق فيلم "كفرناحوم"**

**المصدر :(الموسوعة الحرة، بلا تاريخ)**

مخرجة الفيلم اللبنانية "نادين لبكي" من المخرجات المثيرات للجدل دائما من خلال مختلف إنتاجاتها، فبالإضافة إلى هذا الفيلم أخرجت عدة أفلام لها كانت محل نقاش في السينما العربية، وأهم هذه الأفلام نجد "كراميل سكر بنات"، " Rio I Love You"، "وهلأ لوين"، إلى جانب إخراجها لعدة فيديوهات كليب لكبار الفنانين والفنانات العرب، على غرار "نانسي عجرم" و"ماجدة الرومي" و"نوال الزغبي" و"كارول سماحة"،

بالإضافة إلى مشاركتها في عدة أفلام أخرى كممثلة أو كاتبة (الموسوعة الحرة، بلا تاريخ)، وهو ما ساهم في ارتفاع مستوى الإخراج العام للفيلم، فالخبرة التلفزيونية والسينمائية للمخرجة أثرت إيجابيا في مراعاة مختلف الجوانب الفنية في الإخراج، وتحكمها في كل عنصر من عناصر صنع الفيلم، حيث يمكن التعرف على قصة الفيلم من أسلوب إخراجه، خاصة من خلال أسلوب الاسترجاع الفني "الفلاش باك"، من خلال بناء اللقطات وزوايا الكاميرا وحركتها والألوان المستخدمة وسرعة الفيلم بشكل عام.

بالنسبة للموسيقى والمؤثرات الصوتية المستخدمة كان لها حضور قوي ومؤثر، وكان هذا حاضرا خاصة في المشاهد الحزينة أو السعيدة، أو مشاهد الأمل واليأس، والتي تعلقت بالأساس بشخصيتي "زين" و"رحيل"، حيث استخدمت المخرجة موسيقى تصويرية حزينة تارة ومتفائلة وفرحة تارة أخرى، إلى جانب استخدامها لمؤثرات صوتية عميقة خاصة في مشهد حزن وبكاء "رحيل" في زنزانتها على فقدان ابنها بالتزامن مع فرح زميلاتها السجينات ورقصن على أنغام الموسيقى، كما كان هناك حضور معبر كذلك للسكون الصامت في الفيلم في بعض مشاهده، والذي قدم في جميع مشاهده وظيفته التعبيرية والنفسية والدرامية بشكل عام.

الظاهر على الفيلم سلامة اللغة رغم انحطاط مستواها، ودقة التعبير ووضوح العبارات في أداء المقصود منها، خاصة في عبارة بطل الفيلم "زين" عندما قال: "لأنهم خلفوني"، وهي عبارة دقيقة واضحة مقصودة المعنى والسياق، فيم استخدمت الكثير من الألفاظ النابية وغير الأخلاقية والعامية المبتذلة، خاصة في مشاهد العراك والصراخ والغضب من أبطال الفيلم وشخصياته الثانوية، وهو ما عزز انحطاط بعض مشاهد الإباحية في الفيلم، وهو ما جعل الشكل العام للفيلم يصدم ويجرح في بعض مشاهده المشاعر الإنسانية أو القيم المتعارف عليها في المجتمعات العربية، ويجعل من المفروض وضع علامة مميزة على الفيلم "للكبار فقط".

**3.9 نقد الأسلوب**

ما ميز الفيلم من ناحية الأسلوب هو اعتماده على أسلوبين في التصوير، التصوير الواقعي والاسترجاع الفني "الفلاش باك"، وكلاهما ساهما بشكل كبير في دراما الفيلم، خاصة أسلوب الاسترجاع الفني الذي ساهم في الإثارة والتشويق في الفيلم، وتحقيق وظائفه التعبيرية والجمالية والإيحائية وحتى الوظيفة الرمزية والإسقاطية، حيث نجحت مخرجة الفيلم إلى حد بعيد في استخدام هذه الأساليب في التصوير.

ما ميز الفيلم كذلك وكان محل جدل ونقاش في السينما العربية، هو طريقة تصويره التي مالت إلى تصنيفه ضمن الأفلام الوثائقية مقارنة بالأفلام السينمائية، سواء من حيث طريقة التصوير (زوايا التصوير، أنواع اللقطات، حركات الكاميرا)، أو من حيث اختيار أماكن التصوير (كلها أماكن حقيقية لا مكان للافتراضي أو المتدخل فيه إلكترونيا)، أو من حيث الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية (وجود عدد ليس بالقليل من المشاهد دون موسيقى أو مؤثر صوتي)، أو من حيث الشخصيات (كانت معظمها إن لم نقل كلها شخصيات حقيقية وليسوا بممثلين)، وهذا ما أثر على بعض المشاهد أحيانا والتي كانت طويلة إلى حد ما.

جاء الأسلوب المقدم به الفيلم مشوق إلى حد بعيد، مع الاهتمام بإبراز واقع وحال اللاجئين وخاصة منهم الأطفال في مخيمات اللجوء وأحياء لبنان الفقيرة، من خلال إبراز المستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي لهم، بتوازن لا يسيء للعقل السليم والتفكير السوي بشكل عام، وصولا إلى الإقناع والمصداقية بواقع حال هؤلاء اللاجئين، مع ضعف مستوى مراعاة الظروف الاجتماعية والنفسية والبيئية لهؤلاء، حيث طغى الجانب السلبي على الإيجابي لهذه الفئة، دون إبراز اهتماماتهم أو آمالهم أو أحلامهم إلا في بعض المشاهد القليلة، بينما كان هناك تركيز على المداخل النفسية والاجتماعية لكثير من المشاهد، خاصة عندما يتعلق الأمر بضعف أهمية هذا الموضوع في الحياة المجتمعية للمجتمعات العربية.

كان هناك وضوح للفيلم في مختلف مراحل قصته وسيرورة أحداثه، مع الفهم العام للمعاني المقصودة والرسائل المقدمة حول قضية اللاجئين السوريين في العالم، دون ترك الجمهور يجتهد في البحث عن المقصود إلا في بعض الرمزية والإيحاءات والإسقاطات في بعض المشاهد، من خلال تبسيط وتوضيح مختلف نتائج النزوح واللجوء دول أخرى في ظروف غير مناسبة، مع مراعاة التوازن العام في الاستمالات العاطفية والمنطقية، مراعيا بذلك حال جمهور السينما العربي (غير متجانس المستويات الاجتماعية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والمعرفية)، من خلال الابتعاد قدر المستطاع في ذلك عن المبالغة والتهويل أو النقص والتهوين في عرض موضوع الفيلم (اللاجئين والطفولة اللاجئة بالتحديد)، ومختلف العناصر الدرامية والإخراجية فيه، ومختلف الأفكار والآراء والمعتقدات والاتجاهات نحو ذلك الموضوع.

**4.9 نقد الشخصيات**

كل شخصيات الفيلم كانت لشخصيات حقيقية وليسوا لممثلين محترفين أو هواة، وهذا ما زاد من صدقية وواقعية الفيلم عبر مختلف مراحل تطوره، أما أهم شخصية في الفيلم فكانت شخصية (زين الحاج) الذي قام بدوره الطفل "زين الرافعي"، وهو ليس بممثل وإنما هو لاجئ سوري حقيقي، وظف ملكاته وقدراته في تصوير وتمثيل حال الطفل اللاجئ في مخيمات اللجوء والأحياء الفقيرة في لبنان، فقد تطور أداؤه مع مرور الوقت من طفل سوري لاجئ يعيش في أسرة فقيرة في أحد شقق المخيمات، إلى طفل مسؤول على طفل آخر أقل سن منه (مأكل ومشرب وتغيير حفاظات....)، ثم إلى مجرم يطعن زوج أخته الذي تزوجها قصرا اعتقادا منه أن زوج أخته هو السبب في مقتلها (ماتت نتيجة مضاعفات الحمل)، وفي كل هذه المراحل قام "زين" بوصف تمثيلي قوي وصارخ لكل وقائع تلك المراحل مرحلة بمرحلة، فتجد نفسك تتعاطف مع "زين" في كل مراحل الفيلم من بدايته إلى نهايته، رغم كثرة القيم والسمات السلبية التي كان يقدمها في الفيلم (سارق، كاذب، يائس، حزين، ناقم على والديه)، في مقابل القيم والسمات والإيجابية (حنون، متفائل، غيور، ذكي، يعيش لأجل أخته...).

ظهرت في الفيلم شخصيات أخرى مهمة مثل شخصية "رحيل" الذي قامت بدورها "يوردانوس شيفيرا"، وهي لاجئة إفريقية بدون وثائق إقامة، تشتغل كعاملة نظافة في مدينة ملاهي، وهي شخصية ضعيفة ومقهورة وخائفة تعيل عائلتها في أحد الدول الإفريقية، تطورت شخصيتها في الفيلم بفعل تغير ظروفها المحيطة، من مجرد عاملة نظافة تربي ولدها بشكل سري بعيد عن أعين الناس، إلى أم مضطهدة ومستغلة من طرف عصابات الاتجار بالبشر، ثم إلى سجينة مهددة بالترحيل وفقدان ابنها الوحيد، قدمت هذه الشخصية نموذجا حيا وواقيا لحال الأشخاص المستغلين من طرف تلك العصابات، وما ينتج عن عملهن في ظروف بيئية واجتماعية وقانونية غير سوية، كما نجد شخصية أخرى مهمة وهي شخصية "سعاد" التي قامت بدوها "كوثر الحداد" أم "زين" وشخصية "سليم" الذي قام بدوره "فادي كمال يوسف" أب "زين"، وقد ظهرت هاتين الشخصيتين بشكل متقطع في الفيلم خاصة في مشاهد المحكمة، حيث ظهرت الشخصيتين متفاجئتين من الدعوى المرفوعة ضدهما من قبل ابنهما "زين"، إلى جانب صدمتهما من طلب "زين" من أمه إجهاض الجنين التي تحمله، مع ظهور واضح لمدى المعاناة التي يعيشانهما نتيجة اللجوء والنزوح في مخيمات اللاجئين في لبنان، ومدى القهر والوهن والعجز الذي يعيشانه رفقة أولادهما نتيجة هذه الظروف، ورؤية الواقع والمستقبل وفق نلك الظروف، كما نجد شخصيات أخرى مهمة في الفيلم مثل شخصية "سحر" أخت "زين" والتي قامت بدورها "سيدرا عزام"، وقد ظهرت هذه الشخصية بريئة وساذجة إلى حد ما في بعض المشاهد، خاصة في موضوع الزواج القسري من "أسعد" بموافقة من والديها ومعارضة من "زين"، إلى جانب شخصية "أسعد" صاحب المحل التجاري وزوج "سحر" الذي قام بدوره "نور الحسيني"، وقد ظهرت هذه الشخصية بشكل استغلالي بشع من خلال زواجه القسري بـ"سحر"، واستغلاله للحالة المزرية لعائلتها في قبولهم الزواج بها رغم صغر سنها.

ظهرت عدة شخصيات ثانوية في الفيلم كانت أدوارها مكملة ومرورها عابر لكنه مؤثر، ومن بينها نجد شخصية "يونس" ابن "رحيل" الذي قام بدوره الطفل "بولواتيف

تريزور بانكول"، وشخصية "نادين" محامية "زين" والتي قامت بدورها المخرجة "نادين لبكي"، إلى جانب شخصية "ميسون" وهي طفلة سورية لاجئة تحلم بالهجرة إلى السويد، والتي قامت بدورها "فرح حسنو"، وشخصية القاضي الذي أدار محاكمة والدي "زين" بسبب الدعوى المرفوعة ضدهما من قبل "زين"، ومحاكمة هذا الأخير بسبب طعنه لزوج أخته "أسعد"، والذي قام بدوره القاضي المتقاعد "إلياس خوري"، وأخيرا شخصية "اسبرو" وهو أحد أفراد عصابات الاتجار بالبشر واستغلالهم وقاد بدوره "علاء شوشنيح".

**10.خاتمة:**

إذن نتيجة هذه الدراسة النقدية لخصها بطل الفيلم "زين" في طرح موضوع الطفولة اللاجئة في السينما العربية من خلال قوله: "لأنهم خلفوني"، وهي جملة قالها عندما أجاب "زين" عن سؤال طرحه عليه القاضي حول سبب رفعه دعوى قضائية ضد والديه، وهي جملة تجيب بشكل رمزي عن موضوع فلسفي عميق يدخل ضمن الفلسفة الوجودية، والبحث في لماذا نحن موجودين، لكن الفيلم طرحها من وجهة نظر ذات بعد فكري اجتماعي، من خلال البحث في نتائج اللجوء والنزوح نتيجة الاضطرابات والنزاعات والحروب، فالأطفال وجه من وجوه نتائج هذه الأحداث، والفيلم هنا يعبر بشكل غير مباشر عن الآثار السلبية لتلك الأحداث، وأهمية معالجة الأسباب للنظر في النتائج وإيجاد الحلول، والفيلم هنا حاول بأسلوب سينمائي شبه وثائقي، التنبيه إلى حال وواقع هذه الفئة من اللاجئين (الطفولة اللاجئة)، وضرورة الاهتمام أكثر من قبل حكومات ودول ومجتمعات اللجوء (لبنان مثلا)، وتوفير الحد الأدنى لهم من الضروريات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.

كما يمكن القول أن الفيلم قدم عدة حقائق ومعلومات مهمة عن عالم اللاجئين، حيث وضحت شخصيات الفيلم بشكل عام واقع مجتمع اللجوء السوري في لبنان واللجوء الإنساني بشكل عام، الذي فيه من يؤمن بهذا الفئة من الناس ويشجعها

ويعطف عليها، وفيه الذي يرى أن اللاجئين ما هم إلا أناس يستغلون عطف وحنان الغير، ويستخدمون مختلف الأساليب والطرق المشروعة وغير المشروعة في كسب عيشهم في مجتمعات اللجوء، مستغلين بذلك التعاطف الشعبي العام، وهو ما ظهر في الفيلم خلال عدة مشاهد توضح حالات العطف تارة والنهر تارة أخرى، لكن بشكل عام يمكن القول أن الفيلم وفق إلى حد بعيد في الكشف عن عالم اللاجئين، وقام بوظيفة تفسيرية وتنويرية وتوضيحية لحال وواقع اللاجئين بشكل عام، وهو الأصل في الوظائف الأساسية للسينما ووسائل الإعلام بشكل عام، حيث تعتبر هذه الأخيرة مؤسسة مهمة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات، وعليها دور كبير في بناء شخصية الأفراد وتكوين اتجاهاتهم نحو مختلف القضايا والموضوعات في المجتمعات العربية خاصة، والتي تعاني بعضها من حروب ونزاعات مسلحة، تسبب بشكل أو بآخر في نزوح ولجوء عدد كبير من الناس بينهم عدد كبير من الأطفال، منهم من يصل إلى وجهات مختلفة يعاني فيها سوء الظروف المختلفة المحيطة به، ومنهم من لا يصل أصلا إلى وجهته والطفل السوري "إيلان" أكبر مثال على ذلك. وبناء على هذه الاستنتاجات السابقة يوصي الباحث بالتوصيات التالية:

- ضرورة أن يساهم صناع السينما ومختلف وسائل الإعلام في طرح مختلف المشكلات الإنسانية (اللجوء مثلا) بأسلوب إعلامي مهني متمرس، يساهم في الحد من تلك المشكلات أو التقليل منها، وهي أحد وظائف الإعلام التنموي والإعلام التربوي على حد سواء.

- ضرورة التنوع في أشكال طرح مشكلة اللاجئين السوريين وغير السوريين في الإعلام (أفلام سينمائية، أفلام تلفزيونية، مسلسلات، سلسلات، برامج...)، لإيصال صوت تلك الفئة إلى الجمهور العربي وغير العربي.

- تبني المهنية والموضوعية والحيادية في عرض واقع وحال اللاجئين العرب في الدول العربية وغير العربية، لأن طبيعة ونوع الطرح والمعالجة تساهم في صناعة صورة ذهنية لهؤلاء اللاجئين لدى الجمهور.

- تشجيع صناع السينما العربية على إنتاج المزيد من الأفلام السينمائية والتسجيلية لرصد حال وواقع اللاجئين في مختلف دول العالم، لتكوين اتجاه ورأي عام عالمي إيجابي نحو هذه الفئة من الناس، التي اضطرت للجوء نتيجة النزاعات والحروب.

## قائمة المراجع:


1. عبد الحميد، محمد. (2004). **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية.** القاهرة: عالم الكتب.

2. العريس، إبراهيم. (جويلية -أوت, 2019). **السينما.** تم الاسترداد من مجلة الثقافة: https://qafilah.com/السينما/

3. **الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية**. (10 أكتوبر, 2019). تعريف الملاحظة ,أهميتها في البحث العلمي. تم الاسترداد من: https://www.politics-dz.com/تعريف-الملاحظة-كأداة-في-البحث-العلمي-و/

4. الموسوعة الحرة. (بلا تاريخ). **فيلم كفرناحوم**. تم الاسترداد من كفرناحوم: https://ar.wikipedia.org/wiki/كفرناحوم_(فيلم)

5. **الموسوعة الحرة**. (بلا تاريخ). نادين لبكي. تم الاسترداد من نادين لبكي: https://ar.wikipedia.org/wiki/نادين_لبكي